

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل

قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

محاضرات في مقياس

' ' قراءة النصوص النقدية

السنة الثالثة

دراسات نقدية

إعداد الأستاذ

رويدي عدلان

السنة الجامعية: 1441هـ-1442هـ / 2020م-2021م

عنوان الـيسانس: نقد ومناهج

السداسي الخامس

وحدة التعليم الأساسية

الأستاذ المسؤول عن وحدة التعليم الأساسية

اسم المادة: قراءة النصوص النقدية (محاضرات)

الأستاذ المسؤول عن المادة (محاضرة) و(تطبيق): رويدي عدلان

الفوجان:

الرصيد: 04

المعامل: 02

مفردات المحاضرات:

المحاضرة الأولى

مفاهيم عامة حول القراءة والنقد

-تمهيد:

يعدّ مصطلح القراءة Lecture من المصطلحات النقدية الأكثر تداولاً ودوراناً في حقل النقد المعاصر حالياً، حيث استطاع التوغل في شتى أنحاء المعرفة الإنسانية، خصوصاً مع تراجع التيار البنيوي، وبروز بعض المناهج، التي تعير الاهتمام للمتلقي في سياق مرحلة ما بعد الحداثة Postmodernisme، التي ازداد معها معنى القراءة تعقيداً وتفصيلاً، وشهد تحولات جديدة وتطوراً على مستوى فهم هذه الظاهرة وآليات عملها، بعدما كان أكثر بساطة وسلاسة في إطار التعرف على معاني الكلمات والحروف والنطق، فصار مرتبطاً بعمليات عقلية معقدة عديدة كالإدراك والتذكر والاستنباط والاستنتاج، وتركّز على ما هو مكتوب أكثر منه على ما هو مقروء، بفعل تغير معايير القراءة، «لقد كانت القراءة القديمة تقارب نص يستند لنموذج سائد، صهرته المعايير ووحدت مقاساته، وجعلته آية ثابتة المعالم، مؤطرة بالعقل والمنطق، فلا يجرأ النص على تجاوزها، بل يلخص لها في شكله ومضمونه»¹، في حين نجد أنّ النص المعاصر خلق معايير جديدة، وهدم قاعدة الثبات والاستقرار، وفكرة واحدية المعنى، ليؤسس لمبدأ التعددية والاختلاف، كما تمرّد على تلك القواعد الثابتة المتوارثة والعقيمة، التي لم تعد تسير تحولات الخطاب الأدبي المعاصر، لذلك ازداد الاهتمام بالقراءة، كإحدى النشاطات المعقّدة، والفعّالة في الحياة الإنسانية والعلوم الاجتماعية، بحكم قدرتها على النفاذ إلى جوهر الأشياء، وعمق الخطابات الإنسانية، لتكشف عن الوجه الآخر من هذه الخطابات اللغوية، وحقيقتها المضمرّة، خلف سياج اللغة، من معانٍ ودلالات ودلالات، فتنتقل من الرموز المثبتة عبر الكتابة، لتصل إلى القراءة الواعية، وهي تختلف باختلاف المناهج والتيارات النقدية.

1- القراءة لغة:

وردت مادة قرأ في لسان العرب كما يلي: «يقال قرأ يقرأ قراءة وقرّأنا والافتراء اقتصال من القراءة، والقارئ والمتقّري والقراء كلمة الناسك (...) وقرأ عليه السلام بقرؤه عليه وأقرأه أيّاه أبلغه (...) يقال رجل قرّاء وامرأة قرّاءة، وتقرأ تفقّه، وتقرأ تنسك ويقال قرأت أي صرت قارئاً ناسكاً (...) وقرأت الكتابة قراءة وقرّأنا ومنه سمّي القرآن وأقرأه القرآن فهو مقروء ومنه سمّي القرآن»²، فهنا وردت القراءة بمعنى الضم والجمع والابلاغ والنسك.

أمّا في معجم مختار الصحاح، فقد ورد هذا الجذر كما يلي: «(قرأ) الكتاب (قراء) و(قرّأنا) بالضم. و (قرأ) الشئ (قرّأنا) بالضم أيضاً جمعه، ومنه سمّي القرآن لأنه يجمع السور ويضمها»³، فالمعنى لا يختلف عنه في المعجم السابق.

وفي المعاجم المعاصرة كالمعجم الوسيط ورد مادة قرأ كما يلي: «الكتاب قراءة وقرّأنا تتبع كلماته، نظر ونطق بها وتتبع كلماته ولم ينطق بها. وقرأ عليه السلام أبلغه أيّاه والشئ قرّأنا وقرّأنا

¹ حبيب مونس: نظريات القراءة في النقد المعاصر، ص 171.

² أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، مج 1، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، مادة قرأ.

³ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، تج: يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية. الدار النموذجية، بيروت، لبنان، ط5، 1999، مادة قرأ.

جمعه وضم بعضه إلى بعض»⁴، فمعنى القراءة باتفاق المعاجم القديمة والحديثة لا يخرج عن نطاق الجمع والضم والإبلاغ والتفقه والنطق.

2- القراءة اصطلاحاً:

مصطلح القراءة بإجراءاته النقدية مصطلح منفتح على كل المذاهب، والمناهج النقدية مجتمعة، ولا يمكن اختزاله في تصور منهجي أو نقدي معين، أو اختصاره في استراتيجية محددة في الفهم، فمهمته باختصار، الكشف عن أسرار المعنى والوجود، فالقراءة «هي إنطاق الذات بما هو خبيء في غياهب المجهول، تترجم ما في خاطر الجياش وتكشف عن العواطف والأحاسيس. إنها إعادة إنتاج المقروء بشكل ينهض به هيكلًا مستقلًا يجذب القارئ ذو العقل المنفتح على عالم الدلالات الواسع»⁵، فهي إنتاج جديد للنص الأدبي، من خلال وضعه تحت مجهر القارئ، وعدسته التي تلتقط مختلف التفاصيل الجزئية المتعلقة ببنية النص، وما تخفيه من دلالات مخفية، لا تظهر بالعين المجردة بالنسبة للقارئ العادي، حيث يتبدى أمامها الرمز في صورة مرئية، والسياق يتمظهر في شكل معاني مختلفة، وبذلك أصبحت «القراءة كونا من الرؤى الضبابية والتجارب المتداخلة، ومضمارا مركزا من المعارف المتنوعة، المنصهرة في بؤرة الدلالة المتلبسة الهاربة المتشكلة عبر كل قراءة جديدة»⁶.

فالقراءة إذن هي من أهم المهارات، وأقدرها على اقتحام العوالم الداخلية للنصوص، واكتشاف أنساقها المضمرة والعناصر الفاعلة فيها، فهي تعتبر «فعلاً إبداعياً كحركة تجاوزية مستمرة تطوي ذاتها، لتخلف نسقا جديدا تستمر من خلاله مطاردة المدلول، بعد أن حاصرت المعجمية الدال»⁷، وهي عملية عقلية، وفعل ذهني، ونشاط بصري يقوم على عملية الفهم والتفسير من قبل القارئ، وهي فعل «يتجاوز مهمة الفهم إلى الاكتشاف... الانتخاب وإعادة التشكيل، وكلها خطوات تنصب على جملة الأثر، أي تصيب أركانه في ذات الآن في تقاطعها وتفاعلها»⁸، من قبل القارئ الذي يعيد إنتاج النص ليشكل لنا فهما جديدا له، عبر عملية حوار منهجي ومعرفي مع النص ذاته، وفق أسلحة إبستمولوجية وآليات علمية، «ففي القراءة نصب ذاتنا على الأثر وأنّ الأثر يصب علينا ذواتا كثيرة، فيرتدّ إلينا كل شيء فيما يشبه الحدس والفهم»⁹، الذي يبيث في القارئ رؤية جديدة في فهم النص الأدبي، وهذا ما يولّد فاعلية وإنتاجية على مستوى الدلالة وإنتاج

⁴ مجمع اللغة العربية بمصر، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 2005، مادة قرأ.

⁵ إبراهيم عبد النور: جهود عبد الملك مرتاض في تنظير القراءة قراءة في كتاب نظرية القراءة، مجلة قراءات، بشار، ع 2010، ص51.

⁶ حبيب مونسي: نظريات القراءة في النقد المعاصر، ص171.

⁷ المرجع نفسه: ص 172.

⁸ حبيب مونسي: فلسفة القراءة وإشكاليات المعنى، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط1، 2002، ص 184.

⁹ عبد الناصر حسن محمد: نظرية التوصيل الأدبي، ص65.

المعنى، وهذه المهمة العسيرة «ف فعل القراءة من هذه الوجهة مكابدة مستمرة تصاحب الانسان من أول سؤال يتقوّه به إلى الآخر»¹⁰، ولا يتمكن منها إلا القارئ المتخصص، والمتمرس صاحب المهارة والخبرة والذوق الراقي، لأنه بانعدام الذوق، تغيب الرغبة ويفشل مشروع التأويل، وتتوقف مغامرة القراءة والبحث عن المعنى، ولن يكون هنالك تفاعل بين النص والمتلقي.

هكذا أصبحت القراءة عنصراً مهماً في مقاربة الظاهرة الأدبية، ومصطلحاً بديلاً لمصطلح النقد في المشهد النقدي المعاصر، الذي يعدّ أشد سلطة منها، بأحكامه القاسية أحياناً وأفقه الضيق في أحيان أخرى، فيفتح معها أفق النص، ويتوسع معه نطاق الفهم والتأويل.

3- شروط القراءة:

تستند القراءة إلى مجموعة من الشروط الموضوعية والذاتية، التي تضمن فعالية النشاط القرائي، وتحقق مردوديته في عملية إنتاج وتوليد الدلالة، وقد حدّد جوفري ستركلاند في دراسة حديثة حول القراءة، مجموعة من الشروط التي تحقق هدف القراءة وهي:

أ- إن كل ما نقوله أو أن نفكر فيه عن ملفوظ معين، أو نص مكتوب يفترض مقدّماً توافر قد يكون صحيحاً، أو غير صحيح، من جانبنا عن نية (قصد) المتكلم أم الكاتب.

ب- إن ذلك لا يتعارض مع حقيقة، أنّ ما نقوله عمّا نقرأ، قد يكون صحيحاً، ولكنه لا ينكر إمكانية أن تكون على خطأ.

ج- إلّا أنّ الفهم الصحيح لما يقال أو يكتب لا يتضمن مشاركة كاملة من جانبنا لتجربة الكاتب أو المتكلم، وهو يفسّر سرّ فهمنا لكاتب تختلف تجاربهم عن تجاربنا، ومنهم كتاب من الماضي السحيق.

د- لا نستطيع حقاً أن نفهم ما يكتب أو ما يقال، ما لم نفهم أهميته للكاتب والمتكلم، وهو أمر يؤثر بشكل حتمي علينا كقراء.

ه- إنّ دارس الأدب هو دارس للتاريخ أيضاً، وهذه النقطة تتعلق بالاعتراف بتأثير التاريخ على العمل الأدبي، فالأدب يمثل الحياة، ويعبّر عن وجهات نظر تاريخية، فالتاريخ مثل الأساطير والخرافات، له مفعول كبير في الكتابة الأدبية، ويوجّهها في أغلب الأحيان¹¹، وهو بهذا الشكل يتقارب في وجهة نظره مع أعلام نظرية التلقي.

4- مستويات القراءة:

¹⁰ حبيب مونسي: نظريات القراءة في النقد المعاصر، ص 11.

¹¹ ينظر فاضل ثامر: اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، ط1، 1994، ص53.

من الصعب الوقوف على مستويات القراءة بالتدقيق، خاصة في حقل النقد الأدبي، فهي تختلف بين القراء والمتلقين، وهذا الاختلاف يرتبط بخبرة القارئ، وثقافته، وعمقه في الطرح والتحليل، وطريقته في التعامل مع النصوص الأدبية، ومع ذلك فقد استطاع مجموعة من الدراسين والنقاد، تقديم مجموعة معينة من مستويات القراءة، التي تخص النقد الأدبي، والنصوص الأدبية، وفي هذا الصدد يمكن أن نورد مستويات القراءة عند تيزفيتان تودوروف Todorov ، التي تخص كيفية التعامل مع النص الأدبي، وفق استراتيجية معقولة، تتم بصفة تدريجية، عبر مراحل مختلفة، حيث ميّز بين ثلاثة مستويات من القراءة وهي:

أ-القراءة الاسقاطية:

يعدّ هذا المستوى من القراءة، من أقدم وأعتق مستويات القراءة، وفيه نجد أنّ القراءة «لا تركز على النص وإنما تمر من خلاله ومن فوقه متجهة نحو المؤلف أو المجتمع وتعامل النص وثيقة لإثبات قضية شخصية أو اجتماعية أو تاريخية»¹²، فهي قراءة خارجية وسياقية، لا يهتمها النص بقدر ما يهتمها السياقات التاريخية والاجتماعية المحيطة به، والتي شكلت وصنعت النص الأدبي، فالاهتمام الأكبر كان بالمؤلف على حساب النص، وقد ازدهرت هذه القراءة في فترة انتشار المناهج السياقية، خصوصاً المنهج التاريخي والاجتماعي.

ب-القراءة الشارحة:

أو القراءة التعليقية، وفي هذا المستوى أعادت القراءة الاعتبار للنص الأدبي، ودعت إلى ضرورة العودة إليه، لكنها تعتبر قراءة سطحية لا تنبش في باطن النص، لأنها «تأخذ منه إلا ظاهر معناه فقط، وتعطي المعنى الظاهري حصانة يرتفع بها فوق الكلمات، ولذا فإن شرح النص فيها يكون بوضع كلمات بديلة للمعاني نفسها على ما في ذلك من تكرار ساذج للكلمات نفسها»¹³، وهذا طبعاً لا يساعد على الغوص في أعماق النص والوصول إلى دلالاته المضمرة.

ج-القراءة الشعرية:

وهذا المستوى هو المستوى الأخير من القراءة، التي لا تكتفي بالوقوف على البنية السطحية للكلمات، ولكنها تخترق حجاب الكلمات وتنتهك حرمتها البنائية، فهي تقرأ النص من خلال «شفرته في ضوء سياقه الفني، والنص هنا خلية حية تتحرك من داخلها مندفعة بقوة تحطم كل الحواجز بين النصوص لذلك فإن القراءة الشعرية تسعى إلى كشف ما هو في باطن النص، وتقرأ فيه أبعد مما هو في لفظه الحاضر»¹⁴، فهي قراءة عابرة لبنية النص، مخترقة ومحللة لخليته، تدمر كل الحدود الفاصلة بين السطح والعمق، وتقطع غياهب وأدغال البنية التركيبية والمعجمية،

¹² عبد الناصر حسن محمد: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ط1، 1999، ص55.

¹³ عبد الناصر حسن محمد: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، ص56.

¹⁴ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

لتحاول الإقامة داخل النصوص الأدبية، والاستقرار في أعماقها، فتفكك الشفرات والعلامات، وتحفر خلف معانيها الظاهرة، لتكشف عن الوجه الآخر لها.

ويبدو ظاهراً أن تحديداً مستويات القراءة عند تودوروف Todorov، يستند إلى معايير بنيوية وشعرية، تعكس توجّهه النقدي في تلك المرحلة، ويؤكد «أنّ القراءة تختلف كفاعلية عن بقية الفعاليات الثلاث المشار إليها سابقاً (الاسقاطية والتعليق والشعرية)، في أنّ موضوعها النص المنفرد، وأنّ هدفها أن تعرّي نسق ذلك النص»¹⁵، لتكشف عن المضمّن فيه.

4-أنواع القراءات:

باعتبار القراءة ممارسة تطبيقية، تستند إلى خبرات شخصية، ومعارف موضوعية، وتستدعي الدربة والمران، فمن الصعب تحديد أنواعها، لأن الأمر هنا يتعلق بطبيعة القارئ من جهة والنص المقروء، من جهة ثانية، إلا أنّ هذا لم يمنع الدارسين من تقديم أنواع لها.

ومن ضمن هؤلاء النقاد والدارسين، نجد الناقد والسيميائي والأسلوبي الأمريكي مايكل ريفاتير Michel Riffaterre، الذي ينتمي إلى الاتجاه القرائي في النقد الأدبي، حيث تأثر بنظرية التلقي، وقد خصص جزء من اهتماماته النقدية لدراسة الشعر، من وجهة نظر سيميائية، فشكّل ما يسمّى بالقراءة السيميائية للخطاب الشعري، في كتابه "سيمياء الشعر"، التي انتقد من خلالها القراءات البنيوية، حيث «يهاجم هاجم مايكل ريفاتير Michel Riffaterre تفسير كل من جاكبسون Jakobson وكلود ليفي شتراوس Claude Lévi Strauss لقصيدة بودلير الدردشات»¹⁶، وهو تحليل يقتصر على مصطلحات تقنية حسبه، لذلك يقترح قراءة أخرى، وهذه القراءة تتمّ وفق جدل بين النص والقارئ، وتفاعل بينهما، في توليد المعنى داخل النص، خصوصاً من زاوية القارئ ف«إذا رغبتنا في صياغة قواعد تتحكم في هذا الجدل، يتعين أن نعرف أنّ ما نصنعه، إنّما هو أمر يتمّ إدراكه من قبل القارئ وحالته»¹⁷، ومن هذا المنظور يرى أن العملية السيميائية تقع في ذهن المتلقي، وينبغي أن يفهمها جيّداً، ويتجاوز الصعوبات المتعلقة بالنص الأدبي، قبل الانطلاق في مغامرة البحث عن المعنى داخل النص، وهو يعتقد أنّ عملية فكّ شفرة القصيدة تبدأ في المرحلة الأولى من مراحل القراءة، التي تستمرّ من البداية حتى نهاية النص، ومن أعلى الصفحة إلى أسفلها، وتتبع الكشف عن المحور الأفقي (النسقي)، وهذه القراءة الاسترجاعية أو الارتكاسية، وهي المرحلة التي تجري فيها عملية التفسير الثانية لتحقيق القراءة التأويلية (الهرمنيوتيكية) الحقّة، فعند القراءة يتذكر ما يقرأه، ويكيّف فهمه في ضوء ما يقوم به الآن في عملية فكّ شفرة النص، وهو أيضاً يراجع ويفتح ويقارن بالالتفات إلى الوراء، وبهذا

¹⁵ فاضل ثامر: اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، ص 50.

¹⁶ جميل حمداوي: نظرية القراءة في النقد الأدبي، ص 21.

¹⁷ المرجع نفسه: ص 51.

يستطيع أن يحقق عملية فك رموز النص بنويًا¹⁸، وهذا القارئ المفترض ينبغي أن يكون صاحب خبرة وتجربة، وأكثر قدرة على التحليل والتركيب، ليصل إلى المعاني المضمرة.

ويقترح المفكر والناقد المغربي، المرحوم محمد عابد الجابري تقسيما مختلفا عن سابقه، حيث يستند إلى جملة من المعطيات المتعلقة بطبيعة النص من زاوية، وثقافة القارئ من زاوية ثانية، فمن خلال تحليله لبنية الخطاب الفكري العربي، استطاع أن يضع ثلاث أنواع من القراءات، وهي:

أ- القراءة الاستنساخية أو القراءات ذات البعد الواحد:

وهي قراءات تحاول جاهدة أن تتبنى نفس البعد الذي يتحدث عن النص، فهي محكومة بسلطة النص وخاضعة لها، حيث تتوقف عند حدود التلقي المباشر، وتجتهد أن يكون التلقي بأكبر قدر من الأمامية، وهي تريد أن تخضع نفسها للنص.

ب- القراءة التأويلية:

وتسمى بالقراءة ذات البعدين، وهي تعني منذ اللحظة الأولى كونها تأويليا، فلا تتوقف عند حدود التلقي المباشر، بل تريد أن تساهم بوعي في إنتاج وجهة النظر، التي يحملها أو يتحملها الخطاب، ولا تقف عند حدود العرض أو التلخيص والتعليل، بل تريد إعادة بناء ذلك الخطاب، بشكل يجعله أكثر تماسكا وأقوى تعبيراً، عن إحدى وجهات نظر، التي حملها الخطاب صراحة أو ضمناً، ولكنه يدعو لتجاوز هاتان القراءتان في محاولة إخفاء التناقضات التي تقدم نفسها على سطح الخطاب المفرد، مجتهدة في تذويبها عن طريق التأويل.

ج- القراءة التشخيصية:

وهي قراءة عميقة، ترمي إلى تشخيص عيوب الخطاب، وليس إعادة بناء مضمونه الداخلي فقط، وهذا يتم من خلال تفكيكه إلى أجزاء، وتقويض بنيته الداخلية، حيث تقف عند التخوم المغيية داخله، والأسس التي انبنى عليها، من أجل تقويضها، وهذه القراءة مستقلة عن النص، وترفض الارتباط به، والتعاطف معه، وهي تقترب كثيراً، من القراءة التفكيكية الدريدية، لأنها تعتمد على استراتيجية التقويض، والحفر العميق داخل جسد النص، من أجل اكتشاف الهنات والنقائص التي تعترى هذا الخطاب.

4-قراءة القراءةLecture de la Lecture:

هو من المصطلحات المستحدثة في الساحة الفكرية والنقدية في الوقت الحالي، حيث فرضته العديد من المعطيات العلمية والمعرفية، حتى وإن كانت له جذور في التراث العربي، كما أشار إلى ذلك عبد الملك مرتاض في كتابه نظرية القراءة.

وقراءة القراءة تمثل «النشاط الذي يجعل من المقروء المكتوب نمطا إبداعيا جديدا من خلال إعادة كتابته وفق الرؤى والأفكار الجديدة»¹⁹، هذه الرؤى والأفكار تراعي خصوصية الكتابة الأولى، حيث تمثل نقطة الانطلاق التي يبدأ من خلالها سباق القراءة، وعلى هذا المنوال يسير علي حرب في فهمه وتعريفه لهذا المصطلح، وتحديد مرتبته ضمن العناصر الأخرى، حيث يرى أنّ «قراءة القراءة تقع في المرتبة الثالثة من النص الإبداعي. ذلك لأنها تقوم على قراءة أخرى تبحث في خطواتها، وأدواتها، وكيفية إنتاجها للمعنى، وتوسيع حدود الأثر»²⁰، هي مثلها مثل نظرية الأدب لا تصدر أحكاما بالجدة والرداءة، ولا تتدخل في صلاحيات النقد الأدبي، لكنها تعمل على تقويمه وتنقيفه وتوجيهه الطريق السليم.

ويحدد علي حرب مفهومها بدقة، حيث يرى أنّ «قراءة القراءة في حقيقة أمرها نشاط فكري/لغوي مولد التباين، منتج للاختلاف. فهي تباين بطبيعتها، عمّا تريد بيانه، وتختلف بذاتها، عمّا تريد قراءته، وشرطها، بل وعلّة وجودها وشرطها أن تكون كذلك، أي مختلفة عمّا تقرأ فيه، ولكن فاعلة في الوقت نفسه، ومنتجة باختلافها، ولاختلافها بالذات»²¹، فقراءة القراءة حسب علي حرب هي عبارة عن جهد عقلي وفاعلية في التحليل والتشريح، تساهم في تحقيق الانتاجية النصية والمردودية القرائية، وتفعيل النشاط التأويلي، بفعل قدرتها الاختلافية التي تتميز بها، والانفتاح والتوالد الذي تتسم به، وبالتالي ف «قراءة القراءة ليست مجرد صدى للنص بل هي احتمال من بين احتمالاته الكثيرة والمختلفة»²².

فالنص بإمكانه أن يستوعب قدرا لا نهائيا من القراءات المتعددة المرجعيات، فلكل قارئ قراءته وتأوله، وكل قراءة تنطلق من سابقتها كقاعدة، لتكشف عن الخلفيات المعرفية والجماليات الفنية الظاهرة في البناء اللغوي، وهي مبنية على التراكمية والترابط وعدم الانقطاع والانفصال عن تلك القراءة لأنها تكملها، فهذه القراءة، «تعمل جاهدة على تثمين القراءة الأولى، وإعانة القراء على تلمس مواطن الجدة فيها، وتمكين تعدد الأصوات ووجهات النظر، وفتح حدود النص على شعرية الانفتاح، وإنتاجية الغموض»²³، فهي تفسح المجال للقارئ، وتترك له الباب مفتوحا، من

¹⁹ إبراهيم عبد النور: جهود عبد الملك مرتاض في تنظير القراءة قراءة في كتاب نظرية القراءة، ص 53.

²⁰ حبيب مونسى: فعل القراءة النشأة والتحول، منشورات دار الغرب، وهران، الجزائر، ط1، 2001، ص 64.

²¹ عرابي لخضر: مفهوم نقد النقد عند علي حرب تعقيب وتقويم، أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، جامعة ورقلة، مجلة الأثر عدد خاص، ورقلة، ص 136.

²² عرابي لخضر: مفهوم نقد النقد عند علي حرب، ص 136.

²³ حبيب مونسى: فعل القراءة النشأة والتحول: ص 64.

أجل إثراء النص وتفتيق طاقته الدلالية، عبر ما يحمله من أفق معرفي وثقافي ومنهجي، فهي استشراف واع للنص وبنيته الدلالية المختلفة، «إنّ "قراءة القراءة" وهي تفحص القراءة الواحدة أو القراءات المتعددة للنص الواحد تهتدي إلى المجالات التي تلامسها القراءة، أو التي انزلت على سطحها، بفعل حضور سلطة من السلط المهيمنة، أو بفعل آخر يتصل بقصور الأداة وضيق المنظور»²⁴، فعملية تشريح هذه القراءة وتحليلها، يمكن أن تكشف عن المرجعيات الإيديولوجية، والمعرفية، التي شكّلتها، ومنهجها الدراسي، وإجراءاته، والهئات والنقائص، التي تعترّيها أثناء عملية التحليل والقراءة العميقة، فتكشف عن هذه الفجوة.

أمّا قراءة القراءة، أو ما فوق القراءة عند رولان بارت Roland Barthes فهي امتداد لمشروعه في القراءة، المبني على فكرتي المتعة والرغبة، فهي «ليست نفسها سوى شطايا من الأفكار، ومن المخاوف، ومن الرغبات، ومن المتع، ومن الضغوط»²⁵، تتحاور مع بعضها البعض، وتنصهر وتتشكل مجتمعة في رحم واحد، لتخلّف مخاض القراءة، الذي يخلف بدوره مواليد جدد من المعاني والدلالات.

5- نقد النقد Critique de la critique:

مفهوم نقد النقد من المفاهيم التي لم تنضج فعليا في نقدنا العربي المعاصر، على الرغم من المحطات والتطورات العديدة، التي شهدتها هذا المصطلح طيلة مسيرته الطويلة عبر الأزمنة المختلفة، من حيث المنهج والإجراء، فحتى وإن كانت له بذور في مدوناتنا العربية القديمة خصوصا في نقد الشعر، إلا أنها لم ترتق لمستوى نقد النقد بالمعنى المعاصر، كما كتب عنه تيزفتان تودوروف Tzvetan Todorov في كتابه "نقد النقد" Critique de la critique أو محمد الدغمومي في كتابه نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، حيث يعدّ عمله هذا أول كتاب ينظر لنقد النقد في الساحة النقدية العربية، إلى جانب مفكرين وفلاسفة عرب ومن بينهم المفكر اللبناني علي حرب، الذي يتداخل عنده مصطلح قراءة القراءة، بنقد النقد «فمفهوم نقد النقد عند علي حرب وجود قراءة تنسج من حول قراءة أخرى تسبقها: تصفها، وتحللها، وتدرسها، وتبلورها، وتستضيئها، وتبث فيها روحا جديدة لتغذي ثمرة»²⁶، فهذه القراءة لا تولد من العدم وإنما من سابقتها، وتؤدي عدة وظائف، منها الوصف والدراسة والتحليل، فتطعيمها بهذه الإجراءات يبيث فيها أرواحا جديدة، ويزيد من مفعول خصوبتها لتصبح أكثر قدرة على التكاثر والتوالد من حيث الدلالة والمعنى.

فهذا النوع من النقد يختلف عن النقد الأدبي اختلافا جوهريا، على الرغم من أنه يتغذى من أدواته ومنهجه، لكنه يتتبع أحكام النقاد على الأعمال الأدبية، ليحدد هو الآخر موقفه من هذه الأحكام

²⁴ المرجع نفسه: ص 67.

²⁵ رولان بارت: هسهسة اللغة، تر: منذر عياشي، دار الانماء العربي، سوريا، ط1، 1999، ص 46.

²⁶ عرابي لخضر: مفهوم نقد النقد عند علي حرب تعقيب وتقويم، ص 134.

والمواقف، «إنّ نقد النقد قول آخر في النقد يدور حول مراجعة القول النقدي ذاته كذا وفحصه، وأعني مراجعة مصطلحات النقد وبنياته التفسيرية وأدواته الإجرائية»²⁷، فهو يقف عند جوهر وتضاريس الخطاب النقدي، ومعمارهِ اللغوي، ويحفر في عمق هذا الخطاب المعرفي، ليحلل جهازه الاصطلاحي، باعتبار مفاهيم العلوم مصطلحاتها، منها يتم فهمها وتفسير عملها، كما يتوقف عند حدود المنهج وآلياته، في مقارنة الخطابات والنصوص المختلفة، من أجل الكشف عن طريقته في التحليل، واكتشاف مواطن الجودة والرداءة، وقياس مدى عمق وفعالية هذه الإجراءات في تحقيق وظيفة النشاط النقدي، وتحقيق النجاعة اللازمة في التعامل مع النصوص المختلفة من حيث من المرجعيات، وبهذا الشكل يفعل نقد النقد Critique de la critique النقد الأدبي، ويكسبه شرعية علمية ومنهجية، ويزيد من قدرته على إنتاج القراءات.

أمّا في النقد الغربي المعاصر، وعند تيزفيتان تودوروف Tzvetan Todorov خصوصاً فنقد النقد Critique de la critique يختلف في معناه عن نقد النقد عند النقاد والمفكرين العرب، فهو «نوع من النقد الحواري يجمع بين منهجين، هما المنهج النقدي المؤسس على الملاحظة والمقارنة والاستقراء وإدراك العلائق والمنهج المؤسس على الجدلية»²⁸، فنقد النقد حسبه تجتمع فيه صفة المنهج، على اعتبار أنّه يقتات من النقد الأدبي المنهج والإجراء، إلى جانب ذلك هو يقف عند مختلف العلاقات التي تربطه بالجانب المضاد له، الذي يفكك جهازه المنهجي والتحليلي، فهو في الأخير هو تقويم للنقد الأدبي.

في حين نجد غادامير Gadamer، في إطار بحثه الطويل، في مآزق المنهج في العلوم الإنسانية والاجتماعية، يطرح «الهرمنيوطيقا بوصفها اتجاهاً منهجياً، ينتمي لنقد النقد، من أجل تخطّي القيود المحددة لكل محاولة منهجية»²⁹. فهذا النقد عنده يتخذ منهجاً تأويلياً، ليرتبط بالوجود الكلي للعالم، فهو يحمل بعداً أنطولوجياً عميقاً، ليفتح النص على أفق تاريخي رحب، محاولاً خلخلة نسقه، بحثاً عن جوهره، والحقيقة الأصلية الكامنة فيه.

²⁷ جابر عصفور: قراءة في نقاد نجيب محفوظ ملاحظات أولية، مجلة فصول، مج1، ع1، أبريل، 1981، ص 164.

²⁸ تزيّتان تودوروف: نقد النقد، تر: سامي السويّدان، مركز الانماء القومي، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص 16.

²⁹ روبرت هولب: نظرية التلقي مقدمة نقدية، ص 78.